قصّة



للعلامة



ثبته الله و فرّج الله عنه







تفريغ الدرس الصوتي :

قصة جريج العابد

للعلامة

سليمان بن ناصر العلوان

– ثبته الله –

تم نشر هذا التفريغ في:

رجب ١٤٣٥

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ، أما بعد : فقد جاء في الصحيحين وغيرهما من طريق جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج)** وكان جريج رجلاً عابدًا في بني إسرائيل ، فأتته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فرجعت فجاءت من الغد ، فقالت : يا جريج وكان يصلي ، فقال : يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته وترك أمه ، فجاءت في اليوم الثالث ، فقالت : يا جريج فكان يصلي ، فقال يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ولم يمتثل أمر أمه ، فقالت (اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات) وتذاكر بنو إسرائيل ذات يوم عبادة جريج ، وكان فيهم امرأة بغي تتمثل بحسنها ، فقالت : لأفتننه فتمثلت بحسنها أمام جريج ، فلم يغره جمالها ، فأتت راعي غنم فمكنته من نفسها فحملت ، وحين ولدت أتت به إلى الناس ، وقالت : هذا من جريج ، فما كان من ثورة الناس وغضبهم إلا أن هدموا صومعة جريج ، وضربوه بالجريد والنعال ، فسألهم عن شأنهم فقالوا : هذا ابنك – **أي من الزنا** – فقال دعوني حتى أصلي ، فتوضأ وصلى ركعتين ، ثم قال ائتوني بالصبي ، فضرب الصبي ونغزه على بطنه ، وقال من أبوك ؟ قال الراعي فلان ، فقالوا له نبني صومعتك من ذهب قال : لا ، تبنونها من طين

وذكر الثالث – **أي من الذين تكلموا في المهد** – حين كانت امرأة ومعها صبي ، فمرت عند رجل فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، وكان يمص ثديها ، فأطلق ثديها وقال اللهم لا تجعلني مثل هذا ، فمرت من عند امرأة تعذب ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فأطلق ثديها وقال

اللهم اجعلني مثل هذه ، الأول رجل جبار ، والثانية امرأة يقال : سرقتِ ولم تسرق يقال زنيتِ ولم تزنِ ،

فهذا الحديث كثير الفوائد ، عظيم المعاني ، وهو يشتمل على أكثر من مئة فائدة ، وقد كان الأئمة في القديم يولُون الأحاديث عناية خاصة ، ويستنبطون المعاني من ذلك ، ولا يكتفون بالشرح المجمل ولا بفقه بعض ألفاظ الحديث وقد استنبط غير واحد من العلماء ثمانين فائدة من قول النبي صلى الله عليه وسلم **(يا عمير ما فعل النغير)** لأن الحديث اختصره النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يذكر اللفظة الواحدة فتشتمل على آلاف ومئات المعاني ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله ، والناس يتفاوتون في الفهم كتفاوتهم في الحفظ ، وتفاوتهم في الحفظ أعظم من تفاوتهم في الخلق والشكل ، فطائفة من البشر لا تستطيع أن تستنبط من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى فائدة أو فائدتين ، وطائفة أخرى يستنبطون أكثر من ذلك ، وطائفة ثالثة يستنبطون ثلاثين ، وطائفة رابعة يستنبطون أربعين ، وطائفة خامسة يستنبطون ستين .. سبعين ، ثمانين ، على حسب قدرتهم ، وعلى حسب فهمهم ، وعلى حسب تطلعهم في هذا العلم يستطيعون استنتاج الفوائد من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس حديثنا هو الاستنتاج من فوائد هذا الحديث ، إنما الحديث عن قصة جريج وما جاء في هذا من المعاني التي قد نحتاج إلى كثير منها في عصرنا ، سواء كانت المعاني التربوية ، أو كانت المعاني الفقهية ، أو كانت المعاني العقدية

فهذا جريج رجل عابد **ففيه فضل العبادة** ، والعبادة وقت الهرج كهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جاء هذا في صحيح الإمام مسلم ، فإن العبادة وقت الفتن أعظم منها في وقت الرخاء والسراء ، وقد جاء في صحيح مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن بن الحرقي مولاهم عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا**) والشغل بالعبادة لا يكفي وحده ، لابد من نور يهديك الصراط المستقيم ، **وهذا النور هو العلم** لأن العبادة بدون علم تضر صاحبها ، ونحن في كل صلاة نقول **(غير المغضوب عليهم ولا الضآلين)** المغضوب عليهم اليهود ، معهم علم ولكنهم لا يعملون بعلمهم ، والضآلين النصارى يعبدون الله على جهل ، فأنت تسأل الله أن يجنبك طريق هؤلاء وهؤلاء

ولا تطلبن العلم للمال والريا * فإن ملاك العلم في حسن مقصد**
وكن عاملا بالعلم فيما استطعته * ليهدى بك المرء الذي بك يقتدي**
حريصا على نفع الورى وهاهم * تنل كل خير في نعيم مؤبد**

فهذا جريج كان يتعبد في صومعته ، فأتته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج فقال يا ربي أمي وصلاتي ، **أكثر أهل العلم في أن هذه الصلاة نافلة** ، وكان عليه أن يقطعها استجابة لأمر والدته لأنه يجوز قطع النافلة لأمر واجب ، **وطاعة الوالدين واجبة** ، فيقدم الواجب على النافلة ، وفي هذا تفصيل ، إذا كان الإنسان يصلي ونادته والدته أو والده ، فإن وقع وغلب على ظنه أن الأمر غير

لازم وغير جاد ، كأن يريد والده أن يستكشف أين هو فبإمكانه وهو يصلي أن يقول سبحان الله ليعلمه بوجوده وبمكانه وبكونه يصلي ، وفي هذه الحالة إذا كان الوالد جاداً في طلبه إما أن يقول له اقطع صلاتك أو أسرع ، فيعلم أن الأمر جاد ، ففي هذه الحالة يبادر في قطع صلاته ، ما لم يتمكن بالمبادرة والإسراع في الصلاة ، بحيث يقتصر على الواجبات دون المستحبات ، أما إذا كانت الصلاة فريضة ففيه تفضيل أدق مما مضى ، فإذا كان يصلي الفريضة ورأى رجل يستنجد به ، أو غريقا يستنجد به ، فهو بين أن يتم صلاته وبين أن يموت هذا الغريق ، ففي هذه الحالة لا حرج من قطع الصلاة إنقاذاً لهذا الغريق ، لأن الصلاة لا يفوت وقتها ، ولا حرج من قطعها في سبيل إنقاذ هذا الغريق ، أو رأى حريقًا وليس في المكان أحدًا ليطفئه سواه ، فلا حرج حينئذٍ من قطع الصلاة والذهاب لإطفاء الحرق ، ففي هاتين الحالتين لا حرج من قطع الفريضة وما كان في معناهما ، أما إذا كان يصلي الفريضة وأتى والده يطلبه ، ففي هذه الحالة يؤدي الفريضة ما لم يخبره والده بأن الأمر لا يحتمل التأخير ، ففي هذه الحالة أيضا تقدم الصلاة على طاعة الوالدين ما لم يترتب على إتمام الصلاة ضرر أكبر على الوالدين ، لأن الصلاة لا يفوت وقتها فوقت الظهر يمتد إلى وقت العصر ، فإذا كان لا يفوت وقتها بالإمكان أن يقطعها ويؤدي حق الوالدين ، أما إذا كان طلب الوالد لقضاء حاجة ، فيؤدي الصلاة ولا يقطعها ، فإذا فرغ من الصلاة ذهب يؤدي حق الوالدين

جريج قال يا رب أمي وصلاتي فقدم الصلاة ، وقيل أن هذه الصلاة نافلة ، فقدم الصلاة على طاعة أمه ، لأنه كان يتخذ صومعة مسجداً ، فلا يخرج من ذلك فكانت والدته لا تراه إلا في هذا المكان تزوره فيه ، فذهبت وجاءته من الغد فكان يصلي ، لأنه يكثر من الصلاة ، وفي حديث يحيى بن

الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عند أبي داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين)** فكانت الصلاة مشروعة للأنبياء الماضين ، وهي مشروعة في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي أفضل ما يتقرب به العبد لربه ، وقد جزم شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بأن أفضل العبادات البدنية الصلاة ، كما أن أفضل العبادات المالية النفقة ، واستدل بقول الله جل وعلا **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾** واستدل بقوله تعالى **﴿فصل لربك وانحر﴾** والصلاة بالليل أفضل من الصلاة بالنهار ، وحكى غير واحد من الأئمة الإجماع على ذلك ، والصلاة في ثلث الليل الآخر أفضل من غيرها ، وفي كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل ، وأوسطه ، وآخره ، حتى انتهى وتره إلى آخر السحر وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الزهري عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وذلك كل ليلة)** فإذا كان هذا الدعاء مع الصلاة فهذا أفضل ، وإذا قام ودعا ولم يكن في الصلاة فهذا مطلب ، كالحائض لا مانع أن تستيقظ وأن تذكر الله في هذا الوقت ، وأن تسأل الله من خيري الدنيا والآخرة ، وكذلك الحديث المشهور الذي رواه البخاري وغيره من رواية الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عمير ابن هاني قال حدثنا جنادة ابن أبي أمية عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له)** ولو لم يتوضأ ، ولو لم يصلي ، ولو كان على فراشه فاستيقظ وقال : هذا الذكر ودعا الله جل وعلا استجيب دعاءه ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ، هذه دلالة واضحة على فضيلة الصلاة والأدلة على فضل الصلاة متواترة عن النبي

صلى الله عليه وسلم ، فهذا جريج كان يتزود من عبادة الصلاة ، ومن فتح له باب فليزداد طاعة فيه ، ومن فتح له باب الصلاة ، فليلزم باب الصلاة ، قد لا يفتح عليه باب آخر ، بعض الناس يتشوق إلى لصلاة أكثر من تشوقه إلى قراءة القران ، وبعض الناس يتشوق إلى قراءة القرآن أكثر من تشوقه إلى الصلاة ، وبعض الناس تشوقه إلى الصيام أكثر من تشوقه إلى قراءة القران والصلاة ، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه كان لا يصوم نفلا ، فقيل له في ذلك ، قال : **إن الصيام يشغلني عن قراءة القرآن ، وقراءة القران أحب إلي** ، والإسناد إلى ابن مسعود رضي الله عنه صحيح ، ومن فتح له باب الصدقة فليلزم ذلك ﴿**إن سعيكم لشتى**﴾ والناس يتفاوتون في هذا ، ولا يلزم أن تتوفر هذه الشروط كلها في رجل واحد ، فإن جُِدَت كما جُِدَت في أبي بكر فَـنَـعِـمَّ هو ، وإذا لم توجد أو جُِدَت بعضها في رجل فليلزم هذا الباب ، وليبذل جهده في تحقق الأبواب الأخرى ، فذهبت والدته فأتت في اليوم الثالث ، فقالت : يا جريج فكان يصلي فقال يا رب أمي وصلاتي يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته وترك أمه ، فغضبت عليه وقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ، في هذا المقطع فوائد :

الفائدة الأولى : فيه مضرة الجهل ، جريج عابد ولكنه جاهل ، حيث قدم صلاة النفل على طاعة الوالدة ، فعوقب بسبب ذلك ، ولكن الله فيما بعد جعل له فرجًا ومخرجًا ، لأنه صادق في قصده عابداً لله جل وعلا ، فالجهل داء ، وليس له شفاء سوى العلم ، وشفاء العلم السؤال ، ولا يلزم من كل شخص أن يكون إماما عالما متبحر بالعلم ، ولكن يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم أصول الإسلام ، وأركان الإيمان ، ويجب على كل مسلم أن يتعلم ما يريد فعله ، فإذا أراد أن يبيع أو

يشتري يجب عليه أن يتعلم أحكام البيع والشراء ، حتى لا يقع في الربا ، وإذا أراد أن يحج يجب عليه وجوبًا عينيا أن يتعلم أحكام الحج ، وإذا أراد أن يصوم يجب عليه تعلم أحكام الصيام ، وهذا واجب عيني ، أما العلم في الجملة فهو **فرض كفاية** إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، فهذا جريج حين لم يعلم قدم النفل على الفرض ، فإذا أعياه العلم وأعياه تحصيله وأعياه طلبه فلا أقل من كونه يسأل أهل الذكر ممن يثق بدينهم وعلمهم ، قال الله جل وعلا ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ فمن لا يعلم ولا يقدر على التعلم فإنه يجب عليه مساءلة العلماء والاستفادة منهم ، فالعلماء منارات وهداية للعباد ، هداية دلالة وهداية إرشاد وهداية توضيح ، وليست هداية إلهام للحق قال الله جل وعلا في هداية الدلالة والإرشاد ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾

الفائدة الثانية : دعاء الوالدة على ولدها ، وأنه لا حرج من ذلك إذا امتنع ابنها من طاعتها ، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم والخبر في مسلم قال **(لا تدعوا على أولادكم ولا على خدمكم)** لأنه قد يصادف وقت إجابة فيستجاب ، وترفُّع الوالدين عن الدعاء على أولادهما أفضل ، والبعد عن ذلك أزكى ، لأنه قد يصادف وقت إجابة فيستجاب ، ثم بعد ذلك يندم الوالد لأنه قد يدعو في وقت غضب ، ثم تستجاب دعوته ، ثم من الذي سوف يحن على هذا الابن ويحمل همومه ؟ هو والده أو والدته ، فعلى قدر الطاقة يبتعد الوالدان عن الدعاء على أولادهما ، ما لم تحد الضرورة إلى هذا ، كأن يستعصي الابن على والده ولا يمتثل أمره ، أو أنه يرفع صوته عليه ، أو غير ذلك ، ففي هذه الحالة يجوز ولا حرج ومن حق الأب أن يدعو على ابنه في هذه الحالة ، ولكن لو دعا له في هذه الحالة لكان أفضل وأزكى ، لأن دعاء الوالد على ولده مستجاب .

الفائدة الثالثة : تعجيل الإجابة ، حيث استجيبت دعوة هذه الوالدة على ولدها

الفائدة الرابعة : هي أن من أخل بالواجبات وإن كان مجتهدًا قد يعاقب ، فتكون العقوبة كفارة لسيئاته ، ولكن الله جل وعلا يجعل له فيما بعد فرجا ومخرجا ، لأنه بادر وعجل إلى ربه ليرضى عنه فكونه أخطأ بسبب جهله فإن الله جل وعلا يتجاوز عنه ، ويكفر عنه سيئاته ببلوى في الدنيا تصيبه ، ويوفقه للخير فيما بعد

اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات – أي الزانيات – لم تقل اللهم لا تمته حتى يقع في الزنا ، استشكل هذا بعض العلماء ، هل يجوز للمرء أن يدعو على الآخر أن يقع في المعصية ؟ لأن هذه الوالدة دعت على ابنها بأن يقع في المعصية ، يجاب عن هذا فيقال : إن هذا الخبر ليس صريحا بالدعاء عليه بالوقوع في المعصية ، لأن الإنسان إذا نظر للمرأة بدون قصد لا يأثم بذلك ، وهو حين نظر لهذه المرأة لم يكن بقصد ، وإنما كان لعلاج الوضع ولتبرئة نفسه ، ولذلك النظر في كلام الفقهاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نظر بشهوة ، ينظر إلى المرأة أو إلى الأمرد بشهوة ، فهذا حرام بالاتفاق ، ومن فعل ذلك فإنه آثم ، ومن نظر إلى امرأة أو إلى أمرد وأدمن النظر إليه وزعم أنه ينظر إليه بدون شهوة فإنه كذاب ، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

القسم الثاني : نظر مقصود لذاته ، بحيث ينظر إلى المرأة الكاشفة عبر الشاشات ، وينظر إلى ملامحها ، وإلى وجهها ، ولو بدون شهوة ما دام أنه يتقصد النظر ، والنظر مقصود لذاته ولو كان بدون شهوة فإن هذا حرام ، بدليل قول الله جل وعلا ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ ومنه الحديث الذي رواه الزهري عند الترمذي وغيره بسند قوي عن نبهان مولى أم سلمة في حديث (**أفعمياوان أنتما**) وهذا قول الجمهور وهو الصواب ، فمن نظر إلى امرأة نظراً مقصوداً ، فإنه آثم وعاصٍ لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أدمن النظر وزعم أنه ينظر من دون شهوة فهذا يخادع نفسه .

القسم الثالث : نظر الفجأة ، والنظر الغير مقصود ، كأن ينظر إلى امرأة وقت البيع ، أو وقت الشراء ، أو امرأة مرت في الطريق فنظر إليها ، أو أن المرأة تنظر إلى الرجل في الطريق ، أو وقت البيع والشراء ، والنظر غير مقصود فهذا مباح باتفاق الأئمة رحمهم الله ، ولكن حذاري حذاري من إدمان النظر وحذاري حذاري من النظر إلى تفاصيل البدن ، فهذا غير مباح ، ودليل إباحة النظر الغير مقصود أن عائشة رضي الله عنها كانت تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون بالدرقة ، ولم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، فشاهدها ولم ينكر عليها ، والخبر متفق على صحته ، بل الأدلة في هذا الباب كثيرة جدا ، فعليه حين نظر جريج إلى هذه المرأة المومسة ، لم يكن نظره نظرًا محرما وحين

دعت عليه والدته (**اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات**) ليس صريحا بأنها دعت عليه بالوقوع في الحرام ، ولذلك الذي يظهر لي والعلم عند الله أنه يحرم على العبد أن يدعو على أخيه بالوقوع في الفاحشة ، لا حرج أن يدعو عليه بالعقوبة ، لا حرج أن يدعو عليه بالمصيبة ، لا حرج أن يدعو عليه بما بلاه به وفتنه به ونحو ذلك ، أما كونه يدعو عليه ويقول اللهم لا تمته حتى يقع في الزنا أو اللهم لا تمته حتى يقع في الفاحشة ونحو ذلك ، ترك ذلك أحوط وأدلة هذا أقوى لأنه الذي يستدل بجواز الدعاء على العبد بأن يقع في الفتنة كما دعا سعد على الرجل الذي كذب عليه في الكوفة فدعا عليه أن يقع في الفتنة فلم يمت حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يغمز ويطارد النساء في الأسواق والخبر متفق على صحته ، ومنهم من احتج بهذا الحديث على جواز مثل هذا وفيه نظر لأنه دعاء بالفتنة ، والفتنة أعم قد يفتن الإنسان بماله ، وقد يفتن بغيره ، وأمر آخر كونه يتمنى أن يقع في الحرام أو أن يقع في الزنا ، هو في الحقيقة يتمنى أن يوجد هذا الفعل في المجتمع ، والله جل وعلا يقول (**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**) وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الفتاوى أن الذين يتحدثون بالفاحشة عن المؤمنين بمجالسهم ويشيعون هذا بأنهم داخلون في هذه الآية .

الوجه الثاني للشريط

وهذه الأم دعت عليه أن يرى وجوه المومسات ، لأنه لم يَر امرأة قط ، وليس معنى هذا أن التفرغ للعبادة أفضل من الزواج ، لأن الزوجة مهما كانت تشغل عن بعض العبادات ، فهذا غلط وإن كان هذا جائز في شريعتهم ، فهو في شريعتنا ممنوع ، ولذلك قال الإمام أحمد ليست العزوبة من الإسلام في شيء ، وقال الإمام أحمد من دعاك إلى غير الزواج فقد دعاك إلى غير الإسلام ،

وحديث أنس في الصحيحين أتى ثلاثة إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حديث مشهور ، حين قال الأول أنا لا آكل اللحم ، وقال الآخر أنا أقوم الليل ولا أنام ، وقال الآخر أنا أصوم ولا أفطر ، وفي رواية قال أحد هؤلاء وأما أنا فلا أتزوج النساء ، فأتى إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أماكنهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم **(أما أنا فأنام وأقوم أصوم وأفطر وأتزوج النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني)** فالذي يظهر من ظاهر الحديث أنها دعت عليه بأن يتعرض لهن ، وليس معناه أن يقع في الفاحشة وأن يدخل في شيء من ذلك ، فتذاكر بنو إسرائيل عبادته فقالت امرأة بغيٌ تَمثل بحسنها لأفتننه ، بجمع طرق الحديث قالوا لها لا تقدرين على ذلك ، فعزمت على أن تفتنه فتجملت وأتت بأحسن صورة إليه ، فلم يجبها إلى ما تريد ، **فيه أن المخلصين ُعْصَم من الفاحشة** ، كما عصم نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، وعلى قدر الإخلاص يُعْصَم العبد من الفاحشة

سليمان بن يسار يضُرب به المثل في الجمال ، دخلت عليه امرأة تعرض عليه نفسها ، فامتنع وقالت إن لم تفعل لأفضحنك ، فما كان منه إلا أن هرب من البيت ، فأدركه المبيت في الطريق فبات ، يقول : فأتاني آتٍ في المنام ، فوقع في نفسي أنه يوسف عليه السلام فقلت : أنت يوسف ؟ قال : نعم أنا يوسف الذي هممت ، وأنت سليمان بن يسار الذي لم تهم ، يقول : فاستيقظت

بعض الناس ما يتخلى عن اللذة ، يتصور أنه إذا تخلى عن اللذة وقع في حسرة ، ومعاذ الله أن تترك لذة لله فتقع في حسرة ، من ترك لذة لله فإن الله جل وعلا يشرح صدره ، ويخلفه خير منها ، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي قتادة حين وجدأعرابياً في الصحراء ، فقال أرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : سمعت منه شيء ؟ قال : نعم سمعته صلى الله عليه وسلم يقول **(من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه)** في الدنيا والآخرة ، من ترك مالاً لله عوضه الله في الدنيا مالاً خيراً من ذلك ، ومن ترك وضيفةً حراماً عوضه الله وضيفة أخرى خيرا منها ، ومن ترك لذة عوضه الله جل وعلا لذة أخرى من قيام الليل ونحو ذلك ، هذا معنى كلام سليمان الداراني لَأَهْلُ الليل بليلهم ألذ من أهل اللهو بلهوهم ، لأن صاحب العبادة يجد لذة أعظم من لذة أهل المعاصي ، فالذين يلجأون إلى المعاصي ، ويعتقدون أنها تشرح الصدر ، ويجدون لذة فيها هم ضالون عن الصراط المستقيم ، ومخالفون للأمر الواقع ، فإن الذين يعبدون الله عن إخلاص وصدق يجدون من اللذة أعظم من لذة أهل اللهو بلهوهم ، ولا أَدَلُّ من هذا أن بعض السلف إذا أراد أن تبتر قدمه أو غير ذلك ، كان يشترط على الطبيب الذي يبتر قدمه أن يكون في الصلاة ، لأنه يخلو بربه جل وعلا ويجد بذلك من اللذة مالا يجدها غيره ، لأنه مطيع لله جل وعلا ، وهل يعقل أن الإنسان لجأ إلى الشيطان فيجد شخص يخرجه من همه وآخر يلجأ إلى الرحمن فلا يجد من يخرجه من همه وغمه؟ معاذ الله **﴿تلك إذًا قسمة ضيزى﴾ ﴿مالكم كيف تحكمون﴾**

فتعرضت هذه المرأة لجريج ، فعصمه الله جل وعلا فتنتها ، فذهبت إلى راعي كان يرتاد هذه الصومعة ، فمكنته من نفسها فحملت ، وانتظرت حتى ولدت ، فأتت إلى بني إسرائيل وقالت : هذا ابن جريج ، فذهبوا إلى جريج ، دون أن يكلموه فهدموا صومعته ، **ففيه خطورة تصديق**

الأخبار بدون تثبت ، حيث أن هؤلاء ما استفهموا ، وما سألوا ، وما طلبوا شهود ، كيف تصدق المرأة وهي معروفة بالبغاء ؟! فالأصل فيها الكذب ، وهذا يحصل الآن في كثير من الناس ، يبادر إلى تصديق أهل الكذب ، ويكذب أهل الصدق ، كالذين الآن يتناولون مواضيع وعناوين الصحف بالتصديق ، والأصل في هذه الكذب ، لأن الكذب أصبح سجية لهم ، وليس معنى هذا أنهم لا يصدقون قد يكون الغالب عند بعض الصحف الصدق ، ولكنهم يكذبون ويتقصدون بعض الأحايين الكذب على الأخيار والصالحين ، فإذاً ا لا نبادر بالتصديق مادام أن هؤلاء يستهدفون طائفة أو جماعة معينة ، فلا نبادر بتصديقهم ، الله جل وعلا قال ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾ – **أي فتثبتوا** – لماذا ؟ لأن الإنسان قد يريد يعالج أمر فيقع في الخطأ ، وقد يريد أن يعالج الأمر فيقع في الكذب ، أو يقع في الضلال ، أو في أذية الآخرين ، ولاسيما أنهم حتى وهم ينقلون عن بعض العلماء وبعض الصالحين وبعض الفضلاء وبعض المحاضرات ، تارة يقتصون ، بصرف النظر هل يتعمد الكذب في الاقتصاص أو لا يتعمد ، هو لا يفهم في الشرع كثيرا فبالبتالي يأتي بمعاني مخلة ، أو يأتي بألفاظ مخلة بالمعنى الصحيح ، فالتثبت إذاً ا واجب ، والحذر الحذر وحذاري حذاري من المبادرة إلى التصديق لئلا تظلم أحدًا ، وليس معنى هذا أيضا ، أن الإنسان يبادر إلى التصديق مطلقًا ، فلا تكذب مطلقا ، ولا تصدق مطلقا ، بل نتثبت لأن التثبت مطلوب ، والله جل وعلا قال ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾ قال ﴿**فتبينوا**﴾ ولم يقل فكذبوا ، لأن بعض الناس إما أن يكذب مطلقًا ، ويقول هؤلاء كذب ، ثم بعد ذلك يتكلمون بالصدق ، وهذا غلط أو يبادر بالتصديق بسبب الهيمنة أو بسبب توافق بعض الصحف على النقل خطأ ، فيبادر بالتصديق ، فهذا خطأ والله جل وعلا يقول ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ**﴾ ما قال فكذبوا ولا قال فصدقوا ، ماذا قال ؟ قال ﴿**فتبينوا**﴾ – **أي فتثبتوا** – فالتثبت هو الواجب والمطلوب ، هؤلاء ما عندهم شيء من التثبت .

وقد جاء في بعض الطرق في مسند أحمد وغيره ، حين سمع جريج ضجة خارج الصومعة ، أطل عليهم وقال مالكم مالكم ، فقالوا زنيت ولم ينظروه ، فنزل إليهم بحبل ، فأوجعوه ضربا وهدموا صومعته فقالوا له زنيت ، قال ما زنيت ، قالوا هذا ابنك ، إذا ضرب الإنسان أين يلجأ ؟ يلجأ إلى الله ، ولاسيما أن هؤلاء تواطؤوا على أذيته ، وتواطؤوا على تهمته ، ولا تتصور أن الناس حين يتواطؤون على أذيتك أن الكذب والافتراء عليك سوف يدوم ، سوف يأتي يوم من الأيام ويتبين الصدق ، إبراهيم عليه السلام لجأ إلى من ؟ لجأ إلى الله وقال **حسبنا الله ونعم الوكيل** ما لجأ إلى أحد ، وما لجأ إلى مخلوق ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل له إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ماذا قال الله عنهم ؟ فزادهم إيمانا **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** والأصل في المسلم حين يتواطأ الأعداء عليه يزداد إيمانه ، قال الله جل وعلا عن المؤمنين ﴿**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلى إيمانا وتسليما**﴾

ولكن حذاري حذاري من أمرين لهما عواقب سوء ، وهما موجودان في أرض الواقع ، وقد يمارسها الإنسان دون أن يشعر ، بعض الناس إذا ابتلي تنازل عن ثوابت الشريعة وعن القطعيات ، وآخر إذا ابتلي بدعوى أنه قد ازداد إيمانه وهو قد ازداد شره ، فالتوسط التوسط ، حين تؤذى لا تلجأ إلى أساليب محرمه لتبرر موقفك ، وإذا ابتليت اصبر لا يعني أن تتنازل ، ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ لأن بعض الناس إذا أوذي تنازل ، وقال هذا طريق شاق فيه مشاق ثم يتنازل ويصير وبالا على أصحاب المنهج الأول ، وآخر إذا ابتلي لجأ إلى المحرمات ، وإلى عظائم الأمور ، وإلى الجرائم ، وجعل من البدعة كفراً ، ومن المعصية بدعة ، وجعل يبرر هذا ، وقد يستدل ما في طائفة ما تستدل الخوارج يستدلون كما قال علي ، يستدلون من قول خير البرية ، والمرجئة يستدلون ، والجهمية يستدلون ، بل القبورية يستدلون ، ولكن الأدلة باطلة في مقابلة الحق ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ ﴿**ولا يأتونك بمثل**﴾ أكثر ما يأتي أهل الباطل بالأمثال ﴿**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك**

باالحق وأحسن تفسيرا﴾ ولا يأتي صاحب بدعة ببدعة إلا وفي القرآن ما يبطلها ، ولكن هذا يحتاج إلى علم وإلى ورع ، حتى يستطيع أن يستأتي بالعلم ، ويثبت ولا يحمله بغُضْ الآخرين على الجور معهم ، أو على جورهم ، وتأمل في مواقف الأئمة ، تأمل في موقف الإمام أحمد حين سجن وعذب ماذا صنع ، تأمل في موقف الخزاعي ، تأمل في موقف أبو إسماعيل الهروي ، تأمل في موقف ابن تيمية لما سجن ماذا صنع ، لأن بعض الناس إذا جاء يعالج يْعِمي ، وقليبُرَر هذا الخطأ بقضية أنه يستدل ، والاستدلال لا عبرة به ، كٌل يستدل ، الاستدلال الغير موافق للأدلة يطرح ، صحيح أن بعض الأدلة قد تكون لها وجاهة ، وتكون مسألة من مسائل الاجتهاد ، وبعض الأدلة لا قيمة لها فليس كل من استدل كان هذا تبريرا لسوء فعله ، أو مجوزا ومسوغا لوصفه بالاجتهاد ، لا هذا ولا ذاك ، فهذا جريج حين اتهم بالزنا لجأ إلى الله جل وعلا ، هو الناصر ،

إذا انقطعت أطماع عبد عن الورى * تـعـلق بـالـرب الـكـريـم رجـاؤه**
فـأصـبـح حـرا عـزة وقـنـاعـة * عـلـى وجـهـه أنـواره وضـيـاؤه**
وإن علـقـت بـالـخلق أطماع نفسه * تـبـاعد مـا يـرجـو وطـال عنـاؤه**
فـلا تـرج إلا الـلـه لـلـخـطـب وحـده * ولو صح في خل الصفاء صفاؤه**

ما صنع ؟ فدعا بماء وتوضأ وصلى وهذا كما هو مشروع في الأمم السابقة ، فهو مشروع في شريعتنا الإنسان إذا وقع في شر ، يلجأ إلى الله جل وعلا ، قال الله جل وعلا ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ والحق منصور فإن الحق أبلج والباطل لجلج

والحق منصور وممتحن فلا *** تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حربه *** ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ *** كفار مذ قام الورى سِجْلان
لكنما العقبى لأهل الحق إن *** فاتت هنا كان لدى الديان

ويقول ابن القيم

لا توحشنك غربة بين الورى فالناس كالأموات في الحسبان
أو ما علمت بأن أهل السنة الـ غرباء حقا عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه والتابعون لهم على الإحسان
من جاهل ومعاند ومنافق ومحارب بالبغي والطغيان
وتظن أنك وارث لهمُ وما ذقت الأذى في نصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده في الله لا بيد ولا لسان
منّتك والله المحال النفس فاسـ تحدث سوى ذا الرأي والحسبان
لو كنت وارثه لآذاك الألى ورثوا عداه بسائر الألوان

وقال أيضا رحمه الله فيما أعد الله للمتمسكين بسنة النبي صلى ﷺ في آخر الزمان

هذا وللمتمسكين بسنة الـ مختار عند فساد ذي الأزمان
أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي آتاه للإنسان
فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضا أحمد الشيباني
أثرا تضمن أجر خمسين امرءٍ من صحب أحمد خيرة الرحمن
إسناده حسن ومصداق له في مسلم فافهمه بالإحسان

إلى أن قال

فالحائز الخمسين أجراً لم يحزها بجميع شرائع الإيمان
هل حازها في بدر أو أحد أو الـ فتح المبين وبيعة الرضوان
بل حازها إذ كان قد فقد الـ معين وهم فقد كانوا أولي أعوان

والرب ليس يضيع ما يتحمل الـ	**ـمتـحـمـلـون لأجـلـه مـن شـان**
فتحمُلُ العبد الوحيد رضـاه مـع	**فـيـض الـعـدو وقـلـة الأعـوان**
مـمـا يـدل عـلـى يـقـيـن صـادق	**ومـحـبـة وحـقـيـقـة الـعـرفـان**
يـكـفـيـه ذلا واغـتـرابـا قـلـة الـ	**أنصار بين عساكر الـشـيـطـان**
فـي كـل يـوم فـرقـة تـغـزوه إن	**ترجع يوافيه الفريق الـثـانـي**
فسل الغريم المستضام عن الذي	**يـلـقـاه بـيـن عـدا بـلا حـسـبـان**
هذا وقد بعد المدى وتطـاول الـ	**ـعهد الـذي هـو مـوجب الإحسان**

فقام فصلى لأن الصلاة دعاء ، قال الله جل وعلا ﴿**وصل عليهم**﴾ – **أي ادع لهم** – والله أعلم بما كانت صلاة الأمم السابقة ، قد تكون كصلاتنا وقد تخلف عنها ولكن هم يصلون وفيها ركوع وسجود ﴿**واسجدي واركعي**﴾ فيها سجود وفيها ركوع ولكن هل هي كصلاتنا ؟ الله أعلم بذلك ، لم يرد شيء في ذلك ، ولكنهم يصلون فقام فتوضأ وصلى ، ثم قال ائتوني بالصبي فضرب بطنه وقال له من أبوك ؟ **فيه عظمة يقين جريج** ، لأن هذا الأمر ما جرت به العادة ، أن الإنسان إذا ضرب الصبي يتكلم وينطق ، لكن من عظيم يقينه وقوة تعلقه بالله جل وعلا استيقن أنه إذا لجأ إلى الله أن الله لا يخيب رجاءه ، وأن الله جل وعلا لا يخذله ، وأن الله جل وعلا لا يسلمه للمومسات والذين يتجاوبون مع المومسات ، فضرب بطنه وقال من أبوك ؟ فأنطقه الله الذي أنطق كل شيء ، قال الراعي فلان فظهر الحق وزهق الباطل لأن الباطل لاشك يضمحل ويزول أمام الحق ﴿**وقل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾ ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ في هذا المقطع فوائد :

الفائدة الأولى : فيه أن المؤمن إذا ابتلي فإن الله جل وعلا ينصره ، ولكن بشرط أن يصبر لأن جريج صبر وما قال ما علي من العبادة ، لأن هذا الطريق شاق وفيه مشاق ومصاعب وضرب وهدم ، لا

.. بل صبر واحتسب ولجأ إلى الله جل وعلا ، وفوض أمره إليه ومن فوض أمره إلى الله فإن الله سينصره بلا ريب

الفائدة الثانية : أن ابن الزنا ينسب إلى أبيه ، وهذه فائدة عظيمة لأن الله صدَّق هذا ، لأنه قال من أبوك فأنطقه الله ، الذي أنطقه من ؟؟ أنطقه الله ، فقال فلان ، فابن الزنا ينسب إلى أبيه ، وهذا هو الصواب من قولي العلماء ، وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، واختار ذلك القرطبي وخالف في ذلك الجمهور ، والصواب أن ابن الزنا ينسب إلى أبيه ، ولكن خرج الميراث والولاء بالإجماع ، فنص على الانتساب وان ابن الزنا ينتسب لأبيه ، يقال فلان ابن فلان ولكن لا يرثه بالإجماع وهذه الفائدة مهمة وعظيمة ، وفي نفس الوقت الأمة الآن تحتاج إلى هذا الحكم المستنبط من هذه القصة وأفتى بذلك أبو حنيفة ، واختار ذلك القرطبي ، ودلالة الحديث واضحة وقوية على هذا المعنى

الفائدة الثالثة : فيه إثبات كرامات الأولياء

الفائدة الرابعة : أهمية العبادة

الفائدة الخامسة : أن المخلص إذا ابتلي ، جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ومن كل بلاء عافية ، ولكن لا يستعجل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث علي بن علي الرفاعي عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما من مسلم يدعو بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بإحدى ثلاث**

إما أن تعجل له دعوته وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها وإما يدخرها له إلى يوم يلقاه) قالوا يا رسول اللهإذاً ا نكثر ؟ قال **(الله أكثر)**

قالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا ، هؤلاء اعتذروا عن خطئهم ، وحين ظهر الحق ازدادت رفعته ، وعظمت منزلته ، لأن الإنسان دائما يعاَمل بنقيض ما فعل ، إذا أراد أن يهين شخصا وتسبب له في أذى ، يكون هذا الأذى سببا في رفعته ، نظير الحاسد لأن بعض الناس يحسد ، فإذا حسد فإنه يتسبب في رفعة محسوده ، ولو علم أنه يزداد رفعة ما بغى عليه ، لأنه سوف يزداد عليه في ذلك ، وهؤلاء يبغون على جريج يريدون إهانته ، ويريدون إسقاطه من أعين الناس ، فعظم في أعين الناس ، قالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا ، لأن الذهب لا يفعله هذا ، والورع لا يفعلشيئاً ا من ذلك ، قالوا نبنيها من طين فوافق على ذلك .

هذا ما تيسر من بعض فوائد ما يتعلق بقصة جريج